

الحظ

الحظ هي وقوع الشيء الحسن أة السيئ على غير ما نتوقع . معنى ذلك أننا نتوقع دائما حدوث النتيجة بعد الأخذ بالسبب الذى يؤدي إليها، فإذا ما حدثت هذه النتيجة بدون تواضر ذلك السبب قلنا أنه الحظ . وهذا ما يجعلنا نقول أن تلميذا نجح بالحظ ، أو فشل بالصدفة ، ونحن نقصد بذلك أنه لم يأخذ بأسباب النجاح ، ومع ذلك واتاه الحظ فنجح ، أو على العكس ، استعد بكل جهده وأعد الوسائل اللازمة ومع ذلك فشل!

الحظ موجود فى الحياة ، ولكنه ليس هو القاعدة ، بل أنه خروج عليها . ومن نعمة الله أنه كذلك ، وإلا لفقد الإنسان التصميم والقدرة على الأخذ بالأسباب ، ولأصبح كسلا متواكلا ، ينتظر إن يأتيه طعامه وشرابه بدون عمل ولما سعى . وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك بقوله : إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ومعناه لا بد من العمل الجاد لكى تحصل على رزقك . والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تغدو خماصا (أى فارغة البطن) وتعود بطانا (أى ممتلئة) . وهنا سر لطيف ، فقد جعل المتوكل على الله مثل الطير التى تأخذ بأسباب الرزق ، فهى تخرج من أعشاشها فى الصباح الباكر بحثا عن الحبوب ، ولما تنتظر أن يرزقها الله وهى جالسة فيها ، وهذا ما يجعل المتوكل معنى إيجابيا يقتضى السعى وانتظار النتيجة ، بخلاف المتوكل الذى يعنى انتظار النتيجة مع عدم السعى على الإطلاق .

طيب ، لماذا يوجد الحظ ، الذى يخرج عن قاعدة السعى ، والأخذ بالأسباب والوسائل ؟ يرى بعض العلماء إلى أن الحظ رغم أنه خروج على القاعدة ، فإننا إذا جمعنا حالاته المتناثرة لوجدنا لها قاعدة خاصة بها . والموضح أنه هذا كلام غير مقنع . بالإضافة إلى أننا مهما حاولنا أن نضع قاعدة للحظ لوجدناها لا تشتمل على كل الأمثلة المتنوعة التى تدخل تحتها . وأخيرا فإن الحظ إذا صادف الإنسان مرة فإنه لا يستمر معه فى باقى المرات . وخذ مثلا على ذلك الشخص الذى يكسب الميانشيب ، أو الذى يفوز فى سباق الخيل ، أو الذى يتغلب على زميله فى لعبة الطاولة ، أو الذى يكسر من شرب السجائر ولما يصاب بالسرطان ، كل هؤلاء قد يحدث لهم الحظ مرة أو مرات ، لكنهم لا يضمنون حدوثه على الدوام . وهكذا يبدو أن الحظ عبارة عن إحدى فتحات التهوية التى يصادفها الإنسان وهو سائر فى المنفق ، أو أنه جرس تنبيه للإنسان إلى أن المنطق العقلى ليس هو كل شئ ، لكى لا يغتر بنظامه المنضبط ، ويعلم أن الحياة أوسع من مجال عقله المحدود .

والخلاصة أنه من حسن حظ الإنسان ألا يعتمد كثيرا على الحظ ، دون أن ينكر وقوعه ، فإذا وقع بالخير كان أفضل ، وإن جاء بالشر أسرع الإنسان بتجاوزه ، واستمر فى بذل الجهد ، وإفراز العرق ، لكى يحقق النتائج بساعديه . ومن المؤكد أن لذتها بالجهد والعرق أعلى ألف مرة من لذة الحصول عليها .. بطريق الحظ !